الفصل الثامن

الأخـلاق المعاصـرة

في تلاوة كتاب الله ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وفيه تحلية للنفس وذكر للرب وموعظة وأجر وولوج في عالم النور ناهيك عن التقوّي بلغة العرب وبيانها وفي هذا يقال الكثير.

وفي تلاوة أحاديث الرسول r نتصل بالرسول عن طريق كلامه، وفيه تباشر قلوبنا المعاني التي رمى إليها، فكأنه يعيش معنا ونعيش معه، والمهم أن تكون الأحاديث وآيات الكتاب معينة لنا من أجل:

دعم التربية: وهي تؤتي ثمارها إذا كانت مترفقة ومتدرجة وملائمة لسن الأطفال، والذي يطلع وينمي معه علم النفس التربوي يدرك الطرق والأساليب الأفضل لخدمة الصغار، وفي كثير من الأحيان نغفل نحن عن تربية المربين ونظن أن مجرد كوننا قد كبرنا وصار لنا أولاد فهذا وحده كفيل بأن يجعلنا نربي، ولكننا في الحق إنما نعيد أساليب الذين ربونا تربية مشوهة وممسوخة وما أكثر ما في هذه الأساليب من أخطاء وضلالات. والذي يطالع في شؤون التربية يدرك الأهمية الكبرى لتعاون المربين، وذلك لأن المهم أن يقنع الطفل المرُبى بحكمة الكبار وتوازنهم وتفهمهم. ولهذا ينبغي أن يقلل الكبار من التوجيهات ما استطاعوا وأن يتزودوا من الثقافة النفسية والتربوية وقد صارت بين أيدي الخاصة والعامة.

أما التربية المدرسية فتغدو مفيدة حقاً إذا كانت لا تتناول العقل وحده فقط بل تُعنى بالكشف عن نفسية الطفل ومعرفة قدراته ووجوه الإمتياز عنده ومعرفة ما يسره وما يؤلمه. ومن يدرس بعناية أساليب النبي r في تربية إخوانه وأصدقائه يستمد منها الكثير من أصول التربية وأساليبها.

تربية المرأة: وهذا أمر هام يغفله الكثير من المسلمين بكل أسف، ولكن إذا ذكرنا أن المرأة في الدنيا كلها قد خرجت عن الطوق وصار لها شأنها الفعلي أدركنا أن تجاهل هذا الموضوع يصور سذاجة الكثيرين وتقصيرهم. إن هذا كلام إحصائي. ونحن نزعم أنها جُل المجتمع لأنها تُعنى بنفسها وبخدمة النصف الآخر، ورسول الله تعالى في حجة الوداع لم يوص بأحد مثل وصايته بالنساء «إستوصوا بهن خيراً»، والحق أن إمرأة أحسن تكوينها العقلي والروحي (لا نبالغ إذا قلنا إنها ترجح أكثر من عدة رجال) ولا حاجة إلى بيان أن المرأة تسعى نحو الكل أكثر من الرجل وأنها إذا كانت سوية كانت أميل إلى التكيف من الرجل، شريطة أن يكون الرجل رجلاً حقاً معها، فهي تحتقر الضعف ولكنها تحب من تحترمه أو تحترم رجولته. وعنه r نقرأ «**لو كنت مفضلاً أحداً لفضلتُ النساء**».

صراع الأجيال: وأشد ما يقع الصراع بين المراهقين وذويهم، وطبيعي أن المعضل في كثير من الأحيان يرجع سببه إلى الكبار وقد يرجع إلى أبنائهم ويأسف المرء إذ يسمع بالشجار والنكد وما إليهما يتم في جو الأسرة بسبب عدم التفاهم مع المراهقين وعلى أية حال فإن ما نسمعه من الصراع بين المراهقين وذويهم يصل إلى الذروة في غير بلاد الإسلام. ذلك أن من نعم الله علينا نحن المسلمين أن أولادنا حين يصلون إلى المراهقة يدخلون في عالم التكليف، والذي يدرك طبائع الأمور ويتعامل معها بإتقان يدرك أن تربية المراهقين عندنا تعني إشعارهم بالنضج والأهمية، كما تعني أخذ رأيهم في كثير من الأمور وندبهم إلى خدمات تتكافأ ومستواهم في الأهمية والإعتبار.

ولعل أعظم درس يمكن الإفادة منه في هذا المجال أن نذكر رسول الله r كيف جعل أسامة بن زيد ابن السابعة عشرة قائداً في جيش كان فيه كبار مثل أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد قارب أحدهم الستين أو زاد عليها.

معنى العمل:

ويأسى المسلم لأن الكثيرين يذهبون إلى أن العمل هو ما نبذله من أجل تحصيل المال. فهذا عين الخطأ. إن الإنسان يعمل لأنه لابد أن يعمل، وبالعمل نكتسب أنفسنا من الضياع ونكتسب معنى الحياة الحلوة ونصوغ مشاعرنا عن طريق العطاء والهبة قالوا «إذا شكا لك صاحبك من كثرة العمل فعاقبه بعدة أيام من البطالة» وإذا وازنا بين معارفنا استطعنا أن نتبين قيمهم من أسلوب نظرتهم إلى العمل. والمهم ليس أن نعمل وإنما أن نتقن العمل. ولنذكر هنا الخليفة عمر رضي الله عنه حيث قال: يعجبني الرجل فأسال عن عمله فإذا قيل لاعمل له فإنه يسقط من عيني.

عالمنا عام الآلة:

إن من أبرز خصائص عصرنا أنه عصر الآلة، وقد مرت الآلة في تأثيرها على الإنسان بمراحل كثيرة منذ أن بدأت أداة طيّعة في يده حتى استعبدته نهائياً.

1- بدأت عملها فكانت مجرد أداة في الإنتاج، ضاعفت من كميات الإنتاج، وأشاعت الرفاه، ويسرت الحصول على الكثير من صور المتعة، فقربت الأبعاد، وألغت المسافات، ومكنت الإنسان أن يغوص في أعماق البحار، ويصعد إلى أجواز الفضاء، وأخذت تصنع العجائب.

2- أخذت الآلة تبدل الكثير من المفاهيم السائدة:

أ - جعلت الكم يطغى على الكيف.

ب - جعلت السرعة والكتلة والسهولة والرفاه أهم أغراض الحياة.

جـ - حولت التأمل من شكله الشاقولي العميق إلى صورته الأفقية فجعلت الشمول فوق التضمن.

د - وجعلت القوة بديلاً عن الجدارة.

هـ ـ صيرت السمعة بديلة عن الأخلاق، وقواعد التعامل بديلة عن دوافع الضمير.

و ـ دفعت الإنسان ليحيا خارج نفسه وانتزعته من ذاته.

ز ـ وأحكمت الفصل بين العلم والحكمة (بين الوسائل والغايات).

3ـ أخذت الآلة تنقضُّ على حياة الإنسان نفسه.

تحولت حياة الأمم إلى بحر واسع من الآلات، تضاءلت قيمة الإنسان إلى مرتبة تشابه قطع الغيار للآلة، حتى أن بعض الآلات الدقيقة الصنع كالعقل الإلكتروني بدأت تظهر تفوقها على الإنسان... من بعض الوجوه.

في عصر الآلة أصبح الإنسان مفتوناً بالآلة...

بدأ يسيّرها فإذا بها تنقض عليه.. لتسيّر حياته كلها...

وتولد انفصام واسع بين الصناعة والثقافة.

ومعظم رجال الفكر والثقافة يحسّون بالخطر المتزايد، لكن أحداً منهم لايملك أن يقاوم طغيان الآلة وخطرها المتفاقم.

داء يجب تشخيصه:

أن الخطر الكبير، والداء الذي يحيق بإنسانية الإنسان يكمن في الناحية الآتية: ليس الخطر ناجماً عن أن عدداً كبيراً من الآلات أخذ يفكر تفكير البشر، بل الخطر ناجم عن أن عدداً كبيراً من البشر أخذ يفكر تفكير الآلات.

وفي عامل من الضياع والألينة Aliénation (البعد عن الذات) ظهرت اتجاهات عالمية كثيرة أظهرها حركتان:

ـ حركة تحويل البشر إلى آلات.

- وحركة تحويل الإنسان إلى حيوان[1].

نظرة تاريخية وحضارية:

قامت النهضة الأوربية في نظر غارودي[2] على أسس كثيرة أهمها ثلاث:

1- التراث اليوناني الروماني (الوثني).

2- العقلية الكتابية للديانتين الموسوية والمسيحية.

3- التوحيد الإسلامي.

لكن الأوربيين يذكرون الأساسين الأول والثاني وينكرون الثالث إما لعداوتهم التقليدية للمسلمين وإما لأن المسلمين كانوا قد طُردوا من الأندلس وجنوب فرنسا وإيطاليا، بعد أن تمزقوا ومضوا يتقاتلون ويتنازعون، وهكذا أفاد الغربيون من المسلمين ومنهجهم التجريبي في العلم. ولقد سلب الغربيون طريقة الاستقراء التجريبي وعزَوْها إلى أنفسهم (رغم أن جورج بيكون كان يقول أن العرب المسلمين أساتذتي)، والعرب ليسوا أذكى من اليونانيين ولكن المعرفة عند الأخيرين كانت عقلانية محضة، فصنعوا الفلسفة والأسطورة ولم يصنعوا العلم التجريبي. لأن العلم التجريبي يحتاج إلى الإيمان بأهمية الحواس (التي لا يبالي بها اليونان) وقد تدرب العرب على الاهتمام بالحواس بسبب أن القرآن الكريم قد دعاهم وخاطبهم قائلاً {**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤولاً**} [الإسراء: 36] لقد شاهدنا هذا قبلاً وشاهدنا أن عظمة الفكر الإسلامي تقوم على «تحويل العقل من الدوران حول نفسه إلى الدوران حول العالم».

---

(1) إذا تحول الإنسان إلى آلة: تضاءلت حاجاته. فالآلة لا تحتاج إلا إلى طاقة محركة وشيء من الصيانة. وإذا تحول الإنسان إلى حيوان كالثور مثلاً، فإن الثور لا يحتاج إلا إلى عشب وماء وبقرة (حسناء أو غير حسناء).

(2) غارودي: فيلسوف فرنسي دخل في الإسلام: مدير ومؤسس المعهد الدولي لحوار الحضارات.

وفي الأخلاق: نجد أن اليونانيين كانوا وثنيين في أخلاقهم، وكانت آلهتهم (وهي أقرب إلى أن تكون من الشياطين) غارقة في ملذاتها وصراعاتها من أجل الملذات، أما الرومان فكانوا قد اتخذوا شعاراً لهم: الحياة خبز وألعاب. غذاء ومُتَع، طعام ونساء وكانوا يأكلون ويأكلون ثم يتقيؤون ليعودوا إلى موائدهم قريباً ومن جديد، تلك الموائد التي يُعدِها لهم العبيد، لقد كانوا يأكلون بإسراف كي يستمتعوا بتطرف، وكان هؤلاء العبيد أدنى من مرتبة الحيوانات، عليهم واجبات وليس لهم حقوق.

ومع النهضة الأوربية قام الإصلاح الديني الذي مقت الوثنية ورواسبها الكنسية، وتأثر البروتستانت بكثير من تعاليم ابن رشد وبعقيدة التنزيه، كما تأثر الأدب في أوربا بعادات الفروسية التي اكتسبوها من العرب مثل (قصص السيد Le cide) وقصص ألف ليلة وليلة وأناشيد Sagas والتروبادور (الطرب والدور). وقصة روبنسون كروزو أخذوها عن ابن طفيل وعزاها بوكوك إلى نفسه سماها الفيلسوف الذي علم نفسه.

وكان من نتائج النهضة اكتشاف الآلة واستخدامها في الإنتاج فتعاظم شعور الأوربي بذاته. وزاد طغيانه على الشعوب الأخرى وانطلقت المراكب الإسبانية والبرتغالية تسيطر على الموانئ ومراكز الصناعة والتجارة.

وظهرت اتجاهات قوامها النهَم للاستيلاء. وصرّح ماكيافيللي في كتابه الأمير «إن على الإنسان أن يفتش عن الربح بدلاً من الله» وأفهم الأمير أن من الخطر عليه أن يتقيد بالتقوى والأخلاق، وإن كان مفيداً له أن يشتهر بهما. فظهرت نزعات قوامها حسن السمعة التي تقابل طيّب الأخلاق وتعارضها. وتفتحت الغرائز وشرعت تجترئ على العقل وغدت الإثارة والدوافع العاطفية صاحبة الكلمة والسلطان فتحلُ بطيشها محل العقل والفهم.

وأخذ الفرد الإنساني يعيش متنقلاً من إثارة لأخرى في حالة من الضياع، فلا يريد لنفسه هدفاً كبيراً وهاماً في الحياة، واقتنع الناس ألاَّ علاج ينجع إلا بإعادة بناء الإنسان.

خطوات العلاج لهذه المحنة:

أ ـ في إعادة بناء الإنسان أظهر البعض (أمثال تولستوي) ألاّ دواء الإ بالقضاء على الآلة والعودة إلى الريف وإلى المجتمع البسيط السابق لولادة الآلة، لكن هذا الدواء خيالي محض ولا سبيل لقبوله لأن الآلة قد احتلت جانباً هاماً وكبيراً من حياة الإنسان ولأن الآلية هي العلة والمرض وليست الآلة ذاتها...

ب ـ قُدمت خطط لعلاج هذه المحنة، محنة الإنسان الحديث الذي اخترع الآلة، فاخترعت له همومه واستعبدته... قُدمت خططٌ بعضها يتِّسم بالهروب والإنسحاب وبعضها الآخر يتميز بالهجوم المعاكس.

1 ـ **الخطط الهروبية التقليدية:** وهي تدعو إلى الفرار من الدنيا، والابتعاد عن المشكلات، كما تقوم على الإستهانة بالإنسان، واحتقار الجسد والمادة، والبعد عن الناس، مع التنكر لقيم المجتمع... وقد ظهرت هذه الخطط في الديانة البوذية منذ القديم، وكذلك عبّرت عنها الاعتقادات المسيحية في أوربا الوسطى... ولم تكن جديدة على إنسان هذه الأيام.

2 ـ **الفردية أو الوجودية المعاصرة:** حيث تعيش شبيبة العالم المتحضر وسط الضياع وتُحس بأن مجتمعها يشرف على الإنهيار، إن أفراد (البيتلز، والهيبز) يُعبِّرون عن كفرهم ليس فقط بالمجتمع المعاصر بل أيضاً بالحياة العقلية الواعية بشكل عام، وهم أنفسهم نتاج هذا المجتمع وبعض عوامل انهياره.

ويلتقي (فرانز كوفكا) مع (مارتين هايدغر) الألماني مع (كامو وكابرييل مارسيل) الفرنسيين على صعيد فكرة واحدة هي أنه:

«ليس للبشرية من مستقبل سعيد»، «وأن الحياة الإنسانية فارغة من كل محتوى»، «وإنها حياة باطلة لأنها محاطة بالموت والعدم».

ويعبر (كامو) بقوة عن بطلان الحياة في معالجته لخرافة (سيزيف)[1].

وهكذا فالوجود في نظر الفلسفة الفردية الوجودية ينّصب على العداء للإنسان، وحسب تعبير (جاسبرز) لا مكان في الوجود لأن ترسو السفينة، وهي ستظل تضطرب وتتخبط، والإنسان المفكر (المؤمن بالوجودية) محاط بجمع كبير من أناس متماثلين لا وجه لهم ولا ملامح، وهو في هذا الجو الغريب وحيد أبداً ومعذب بشكل دائم.

ومن المستحيل الإنسحاب مادياً من المجتمع، فالمجتمع في زعم الوجوديين عدو للشخصية الإنسانية، ومع هذا فمن الممكن مغادرته ذهنياً، إن هذا الرحيل من قبل الفرد إلى عالمه الروحي الخاص به، هو أحد التوجهات الرئيسية للوجودية المعاصرة. وهكذا تنتهي الوجودية إلى الكفر بالمجتمع والتخلي عنه، واستصغار شأنه فتغدو واحدة من الحلول الإنسحابية الهروبية التي عرفت في التاريخ. عبّر عن هذا المعنى سارتر بقوله: الجحيم هم الآخرون.

(1) تقول الاسطورة: انصبت على سيزيف غضبة الآلهة فحكمت عليه بأن يدحرج طوال حياته صخرة ضخمة ويرفعها حتى يصل بها إلى قمة جبل، وإذا بها منذ وصولها تفلت من بين يدي سيزيف عند القمة وتسقط من جديد... فيغدو مطالباً بالحد من هبوطها وبذلك كان جهده باطلاً باستمرار ونوعاً من العبث. صعود يستلزم الجهد وهبوط يستنزف القوى. وهو في نظر كامو رمز لعبث الإنسان وشقائه.

العلاج الجماعي:

يقابل العلاج الفردي والإنسحابي المتطرف. علاج جماعي متطرف، الفرد فيه لاقيمة له ولا وجود، إنه تجريد محض، أما الموجود الحقيقي هنا فهو الدولة في المجتمع السوفيتي أو المجتمع الكلي، وفي مقابل تشاؤم الوجوديين المفرط، نجد إفراطاً في التفاؤل عند الجماعيين الماديين، والتفاؤل هنا رهن بوعد أو بجملة وعود بعالم المستقبل (حيث تنّحل التناقضات، وتسود القوى الضعيفة، قوى العمال والفلاحين)، وهكذا يظهر في صميم بنية المجتمع صراع بين قوى غالبة وأخرى مغلوبة، ولا مجال لهذا الصراع أن يهدأ وأن يرفع الحيف ومعالجة الضياع لا يتم إلا بتعميق الصراع.

إنّ كلاً من العلاج الفردي والجماعي يتنكر للآخر ويشترك كلاهما في الإتجاه الإلحادي فلا يؤمن باللّه، ولا يحس أنه ينتمي إلى حياة تحمل معنى كريم أو مثالي، فالحياة خالية من المعنى أصلاً وعند الفريقين معاً لا نجد شيئاًمن المبالاة بالإنسان أو الأخلاق الإنسانية.

العلاج الإسلامي

ينطلق هذا العلاج من منطلقات أساسية تقوم على تقدير الإنسان وإحترام الوجود لانتمائهما إلى اللّه، خالق الكون والإنسان. وبيان ذلك ما يلي:

1- الإنسان كائن مكرّم ـ كما سبق وأوضحنا ـ وليس مجرد حيوان ناطق، إنه كائن متعالٍ لا بعقله وتصوراته فقط بل بدوافعه، وحاجاته إلى التسامي والصلة بخالق القوى والناس.

2- كرامة الإنسان ليست ذاتية فيه بل هي بفضل من اللّه ورعايته.

3 ـ الإنسان حر وقادر على التحرر ومن هنا فهو مسؤول.

4- وحين يسهو إنسان أو ينسى ربه[1] فيتصرف وكأنه إله يفقد اتزانه وعقله وتأييد مجتمعه من جهة ومن جهة أخرى يتصرف وكأنه مسحوق فيفقد وجوده وكرامته ويقع في اليأس، ويمارس العبودية (أو الكفر الذليل المهان)[2] وهذان الموقفان المتطرفان هما اللذان أوحيا بتسمية هذا الكتاب المتواضع أخلاق الإسلام بين الفطرة والفكرة. قال تعالى: {**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: 63].

المهم لا تُعرض قضية الأخلاق في الإسلام على بساط المعرفة والفكر على طريقة الأخلاق الفلسفية بمقدار ما تُعرض على بساط العمل أي التحقيق الفعلي في الحياة، وإذا كانت البراغماتية فلسفة عملية فهي ترى الخير فيما ينفع ـ كما رأينا ـ فلا تنجو من دائرة الفكر المنتفع، أما في الإسلام فإننا نجد الإيمان يتلازم دوماً مع العمل الصالح، إذ المهم أن يفعل الإنسان الخير لا مجرد أن يعرفه ويقتنع أنه نافع.

1- أما عمل الخير فليس مجرد أداء شكلي بل لابد أن تتوفر فيه النية الطيبة، أُثر عن النبي r قوله «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى**». وأُثر عنه أيضاً قوله «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال فما عملتَ فيها؟.. قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت. قال كذبت قاتلتَ لأن يقُال جرئ فقد قيل**».

2- وهكذا فإذا أخذنا بالتقسيم التقليدي للأخلاق بين الأخلاق السلبية والأخلاق الإيجابية والأخلاق التقدمية وجدنا أن أخلاق الإسلام تنتمي إلى الإيجابية والتقدمية معاً، فهي لا تكتفي بنهي الإنسان

---

(1) كان فرعون يظن أن له الحق في أن يمنع المصريين من أن تكون لهم آراؤهم، وفي أن يرى رأيه هو بدلاً منهم {**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**} [غافر: 29]. وكذلك يفعل كل ديكتاتور يجعل نفسه بمنزلة من يفكر بدلاً من الآخرين ويطلب منهم أن يخضعوا لتفكيره وكلامه.

(2) راجع المقدمة في هذا الكتاب.

عن الشر (على طريقة الأخلاق السلبية) وإنما تدعو الإنسان إلى فعل الخير (على طريقة الأخلاق الإيجابية) وفوق هذا هي تدعو إلى سؤال الوجدان فيما يستقبل الإنسان من أمور مستجدة (على طريقة الأخلاق التقدمية) قال رسول الله r : «**إنَّ الحلال بيِّن وإنَّ الحرام بيَّن**». وقال: «**الإثم ما حاك في صدرك وخشيت أن يطّلع عليه الناس**». وقال: «**استفت نفسك ولو أفتاك الناس**».

3- لايدعو الإسلام إلى نبذ الدنيا وطرحها وإحتقارها فالرسول r قال: «**تفرّغوا من هموم الدنيا**» ولم يقل تفرغوا من الدنيا.

4- ثم أن الإسلام لا يحتقر الفطرة أو الطبيعة الإنسانية ولا يهمه أن يقتل الغرائز بل يأخذها برفق في تصعيدها، فغريزة «الجنس» لا يقاتلها على طريقة الرهبانية، ولكنه يحدد القواعد والقوانين التي تعمل على تنقيتها والتسامي بها - وغريزة المقاتلة لا يميتها في الإنسان بل يهذبها {**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ**} [البقرة: 194] {**وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} [التغابن: 14].

وكذلك غريزة التملك لم يحرم الإسلام التملك، لأنه فطري وغريزي، ولكنه قاوم استغلال المتملكين فقد قال: {**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**} [البقرة: 275].

إنَّ الربا هو مفتاح التضخم الرأسمالي بكل شروره.

وعلى وجه العموم لا يحاول الإسلام أن يجتث الغرائز من جذورها بل يسعى للإعلاء بها، وهذا ناتج عن مبدأ إسلامي كبير وهو أن الطبيعة «أي الفطرة» خيّرة وطاهرة، فالمولود يولد على الفطرة، ومن يفعل الشر أو يقاوم الخير فإنه يشوب فطرته ويؤذي بها[1].

5- والإسلام لا يحرم الشر لأن الأوامر هكذا أمرت (على غرار الأخلاق اليهودية) بل إنه يجنح في ذلك بطريق الفكر والإقناع، فالخمرة والميسر مثلاً لم يحرمهما الإسلام لمجرد أن تحريماً

(1) هذا جانب الفطرة التي عنيناها في هذا الكتاب.

أمَر، وإنما اعترف القرآن أن لهما منافع ومضار وإثمهما أكبر من نفعهما، وحين يقول الإسلام {**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ**} [المائدة: 3] فالفِكر[1] أو العقل يستطيع أن يعرف سبب التحريم.

6- ومن أجل إحكام الروابط بين الفرد والجماعة جعل الإسلام العبادة تساعد على التوجُه الاجتماعي، فالصلاة التي تصل بين الإنسان وربه، هي في الوقت نفسه تصل بين الإنسان وأخيه الإنسان. والصوم يؤاخي بين الفرد وبقية الأفراد المحرومين في المجتمع، وخطبة الجمعة ميدان تُطرح فيه أمور الجماعة ومشكلاتها، والحج مؤتمر سنوي يجمع ويحلل مشكلات المجتمع الإسلامي الكبرى ويحرك الذهن إليها.

7- ثم إن الإسلام قد استرسل في بحث المواقف الجزئية والحوادث اليومية لفعل الخير، فضلاً عن المبادئ العامة التي قررها، وهذه هي نقطة الخلاف بين الأخلاق الإسلامية والأخلاق الفلسفية ولنضرب على هذا الحديث الشريف الآتي: «**مكارم الأخلاق عشر تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في الأب وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة: صدق الحديث وصدق البأس وإعطاء السائل والمكافأة بالصنائع، وحفظ الأمانة وصلة الرحم، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف ورأسهن الحياء**».

ففي هذا النص تلتقي الفطرة بالفكرة أجمل لقاء وأجوده وأكثره هناءً
وأمناً وسعادة.

بعض المراجع من أجل التوسع

(1) وهذا جانب الفكرة التي عنيناها في هذا الكتاب.